الكميت بن زيد الأسدي واللغويون – الافتراق والاتفاق

د. عبير عبيد ارحيل الشبيل
abeerobeid117@yahoo.com
أستاذ مساعد باللغة العربية وآدابها

د.حسين محمد البطاينة
x.yceeh@yahoo.com
أستاذ مشارك باللغة العربية وآدابها

جامعة البلقاء التطبيقية – كلية اربد الجامعية – الأردن

الكميت بن زيد الأسدي واللغويون – الافتراق والاتفاق

ملخص البحث

تخيرنا الشاعر الكميت بن زيد موضوعاً لدراسةٍ نحوية، كشاهد على علاقة الشاعر بالقواعد المستقرأة من قبل النحاة ضمن شرطي الزمان والمكان، وهو شاعر واسع الثقافة، وغزير الإنتاج، وذو نزعة فردية، عززت عنده فكرتي الاعتراض السياسي والتجاوز اللغوي، وتبدو تلك الفردية عاملاً مساهماً في مفارقته للنحاة، وفي مخالفته لبعض أقيستهم وعللهم، مخالفة نسبية، ومفارقة لها ما يسوغها من التوتر بين الأصول والفروع, وإنّ معظم المفارقات التي رصدناها كان منبعثاً من الضرورة الشعرية، وبالمقابل فإن مفارقاته تشي بأن عملية الاستقراء كانت غير تامة، وقد كان الاستقراء في أغلب الأحيان ناقصاً، لدى النحاة الذين قعدوا القواعد, وقد رصدنا الأمورالآتية في شعر الكميت

الكمْيت

هو الكميت بن زيد الأسدي – 60 هـ – 126 هـ = 680 – 744م, وهو سليلُ مضر من نزار من عدنان, وتروي كثير من المصادر: إنه ولد يوم استشهاد الإمام الحسين بن علي, ومات في عهد آخر خليفة أموي, وهو مروان بن محمد بن مروان بن الحكم 126هـ – ٧٥٠م, ومن المعروف عنه أنه أقبل بنهمٍ على مصادر الثقافة في عصره, مبتدئاً بالقرآن الكريم , ثم بالحديث الشريف, ثم أقبل على علماء اللغة. ودرس عليهم الشعر والأخبار وأيام العرب, وأنسابها[١]

أجاز الفرزدق الشاعر المعروف الكميت في قول الشعر, وأجازه في إذاعته, وذلك لفرط إعجابه به, ومما اتفقت المصادر على توثيقه, المروية التالية " أتى الكميت الفرزدق وهو

[١]- الأغاني – لأبي الفرج الأصفهاني – ص 15- ج 13- دار صعب – بيروت- وخزانة الأدب للبغدادي – مكتبة الخانجي – القاهرة – تحقيق عبد السلام هارون - ج1 – ص145.

صبي وعرض عليه شعره, وهو ينشد, فإن كان حسناً أمره بإذاعته, إن كان قبيحاً أمره بستره, فأنشد

طَرِبتُ وما شَوقاً إلى البِيضِ أَطرَبُ ولاَ لَعِبَاً أذُو الشَّيبِ يَلعَبُ

وأُرمى وأرمي بالعَدَاوَةِ أهلَها وإنّي لأوذَى فِيهُم وأُؤَنَّبُ

فقال له الفرزدق: يا ابن أخي أَذِعْ ثم أذع, فأنت والله أشعر مَن مضى, وأشعر من بقى"[٢]

ومن المرويات المدونة التي تثبت شاعرية الكميت " سُئِل معاذ الهراء مِنْ أشعر الناس؟ فقال: امرؤ القيس وعبيد وزهير, قالوا: فمن الإسلاميين؟ قال: الفرزدق وجرير والأخطل, فقيل له: ما رأيناك ذكرت الكميت فيمن ذكرت, فقال: الكميت أشعر الأولين والآخرين[٣]

وقد تبدو الرواية ضرباً من المبالغة, وقد يكون "الهراء" قد نسي الكميت لحظة تفضيله الشعراء, ثم استدرك على نفسه. وقدم الكميت على الشعراء من قبله, ومن بعده, وحتى لا تبدو المبالغة إجحافاً, فالكميت – برأينا – واحد من الشعراء المبدعين في تاريخ الشعر العربي.

وقد استشهد **سيبويه** بشعر الكميت بن زيد سبع مراتٍ, وذلك في المواضيع التالية: باب ما جرى في الاستفهام من أسماء الفاعلين والمفعولين مجرى الفعل, كما يجري في غيره, قول الكميت:[٤]

شمٌّ مهاوينُ أبدان الجَزُور مخا ميص العشيات لا خُور ولا قَزَم

واستشهد به على "مهاوين" جمع مهوان "مبالغة من "مهين" وهو من إعمال جمع صيغة المبالغة إعمال الواحد.

وذكر سيبويه في باب: "الأفعال التي تستعمل وتلغى" قول الكميت:

أجهّالاً تقول بني لؤيٍّ لعمر أبيك أم متجاهلينا

واستشهد به على إعمال "القول" بمعنى "الظن", وأنه لا بأس بالفصل بين الاستفهام والقول بمقول القول.

---

[٢] المصدر السابق ص 124 + شرح شواهد المغني ج 1- ص 144

[٣] إنباه الرواة على أنباه النحاة ج 3- ص 295, للوزير جمال الدين القفطي – تحقيق أبو الفضل إبراهيم – القاهرة – ط١ – ١٩٨٦.
الأغاني – دار صعب- بيروت- خزانة الأدب- مكتبة الخانجي- القاهرة تحقيق عبد السلام محمد هارون.

[٤] - الكتاب – ج١ – ص١٠٨-١١٤ – تحقيق عبد السلام هارون – مكتبة الخانجي – القاهرة.

وذكر سيبويه – تحت باب– ما ينتصب على إضمار الفعل المتروك إظهاره استغناءً عنه "الأمراء والتحذير" , وجعل منه قول الكميت:

نعاءً جذاماً غير موتٍ ولا قتلِ ولكن فراقاً للدعائم والأصل

واستشهد به موضع "نعاء" موضع الفعل, والمعنى انع جذاماً وذكر سيبويه في باب تكرار المستثنى قولَ الكميت:

فما لي إلا اللهُ لا رَبَّ غيرَه وما لي إلا اللهَ غيرَك ناصر

والشاهد فيه: تكرار المستثنى في عجز البيت مرةً بـ "إلا" وأخرى بـ "غير", وتقديره: و مالي ناصر إلا الله غيرك, فكان "الله" بدلاً من ناصر, وغيرك منصوباً على الاستثناء, فلما قدما لزما النصب جميعاً, لأن البدل لا يُقدم, وذكر سيبويه في باب: أسماء السور قول الكميت:

وجدنا لكم في آل "حاميم" آيةً تأولها منا تقي ومعرب

والشاهد فيه ترك صرف "حاميم" لشبهه بما لا ينصرف للعلمية والعجمة, نحو "هابيل وقابيل".

وذكر سيبويه أيضاً في باب " تغيير الأسماء المبهمة, إذا صارت علامات "خاصةً" قول الكميت:

فلا أعني بذلك أسفليكم ولكني أريد به الذوينا

والشاهد فيه جمع "ذو" جمعاً صحيحاً, وإفراده من الإضافة, والتزامه الألف واللام وذكر أيضاً في باب " ما ينصرف وما لا ينصرف من بنات الياء والواو التي الياءات والواوات منهن لامات " قول الكميت:

خَرِيعٌ دَوَادِيَ في مَلْعَبٍ تَأَزَّرُ طَوْراً وتلقي الإزارا

والشاهد فيه إجراؤه "دوادي" على الأصل.[٥]

ولم يكن سيبويه وحده من النحاة قد استشهد بشعر الكميت, وإنما استشهد أبو **العباس المبرد** ت ٢٨٥ هـ – ٨٩٨م في المقتضب سبع مرات[٦], وكذلك مرّ على ذكره أبو الفتح **عثمان بن جني** ت 392هـ تسع مرات في الخصائص, في الأجزاء الأول والثاني والثالث, ومن النادر أن يخلو أي من كتب النحو والمعاجم واللغة من استشهاد بشعر الكميت بن زيد, ورغم ذلك

[٥] - الكتاب لسيبويه – ح 3– 308 شرح أبي سعيد السيرافي – تحقيق رمضان عبد التواب- الهيئة المصرية للكتاب والشواهد كلها من ديوان الكميت – تحقيق داؤود سلوم – و قد اعتمدنا هذه الطبعة فيما تعاملنا معه من شواهد للكميت.

[٦] - المقتضب ج 1- ص 144- 238 ج2 ص93, 349- ج 3 – 380 ح4 ص398- 424 تحقيق محمد عبد الخالق عظيمه- ط2 المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية- القاهرة - 1979

لم يسلم من اللغويين والرواة, فقد تحامل عليه **الأصمعي**, فقد قال عنه: "إنه مولد, ولم يكن الأصمعي وحده ممن حمل عليه أو خّطأة, ولهم في الحمل عليه قولان: الأول إنه مولد, والثاني هو من أهل الكوفة, وقد جاء القول الأول في سياق النزاع بين جيل الاحتجاج والأجيال اللاحقة, وجاء القول الثاني في سياق التنازع بين الكوفة الشيعية والبصرة من غير الشيعية, ومما رُمي الكميت به أيضاً قول المتحاملين عليه: "تعلم الغريب وروى الشعر, وكان معلماً, فلا يكون مثل أهل البدو"[٧]

التجاوزات الصرفية في شعر الكميت:

تتركز هذه التجاوزات في بنية الكلمة على مستويين: الأول هو المستوى الصوتي, والثاني هو المستوى الصرفي, وتدرس تلك التجاوزات من مواقع مختلفة أهمها: النقص– ثم الزيادة, ثم التغيير, كما تدرس الأبنية غير القياسية للجموع وغير المسموعة أيضاً, كما تتناول الدراسة أبنية المشتقات, وأثر ذلك على المستوى الدلالي, فمن النقص في البنية...

وردت ظاهرة "وصل همزة القطع" في شعر الكميت مرة واحدة. وذلك في قوله:

وصفت لنا أكناف سهلٍ موطأً وإذ فات مقرور طمعت بائسا

يريد "أطعمت" فحذف الهمزة حفاظاً على الوزن, فالبيت من البحر الطويل فكان وصل "القطع" مطلباً موسيقياً.

ومن النقض في البنية تخفيف المشدد, وقد وردت في شعر الكميت مرتين:

الأولى في غير القافية, وذلك في قوله:

تردد بالنابين بعد حنينها صريفاً كما رد الأغاني أخطبُ

فقد خفف "الياء" في الأغانيّ" وهذا جائز بلا خلاف كقولك أمانيّ, أثافيّ والمفرد أمنية, أثفية, وأغنية, ووردت الثانية في القافية, وذلك في قوله:

طيب الأصل طيب العود في البَنَـ ية والفرع يثربي تِهامي

فقد خفف ياء "تهاميّ" كما احتاج الوزن. والمظهر الأخر هو **إسكان المتحرك**, على أنه أحد مظاهر اللسان العربي الفطرية, ويبدو في الشعر أظهر وأدلّ, وقد ورد إسكان المتحرك في شعر الكميت, وهو يرد على رجل كان قد هجاه من قبيلة "كلب".

لقد بلغتْ كلبٌ بسبيَ حظوةً كفتْها قديماتُ الفضائح والوصْبِ

[٧] الموشح – للمرزباني 249- 250 تحقيق محمد علي البجاوي- دار الفكر العربي - بيروت

يريد "الوصَب" وهو الوجع والمرض, أو دوام المرض, فسكّن الكميت الصاد: احتياجاً للوزن لأن الضرب " آخر قافية الشطر الثاني" مفاعلين, ولو حرك لكان الضرب "مفاعلتن" وهذا ليس من الطويل.

ومن مظاهر الحذف:

١- حذف جزء من الكلمة عند أمن اللبس

كما يفترض الوزن الشعري على الشاعر أن يزيد في بنية الكلمة, يفرض عليه أيضاً أن يحذف بعضاً منها, وذلك كان مشروطاً بألا يؤديَ إلى لبْس, وفي الشعر كثير من هذا كقول كعب بن زهير:

ويلمّها خلة لو أنها صدقت في وعدها، أو لو أن النصح مقبولُ

وهو يريد أن يقول: "ويل أمها", وفي شعر الكميت قوله:

وكانت من اللا لا يُعَيِّرُها ابنُها إذا ما الغلام الأحمق الأمَّ عيَّرا

"اللا" في الأصل لغة في جمع التي, ومنهم من عدّها من قبيل القصر, بأن الأصل في اللا: اللاء ثم قصر.[٨]

٢- الحذف في ياء النسب

عدّ جمهور النحاة ياء النسب حرفاً, مثلها مثل تاء التأنيث, لا محل له من الإعراب, وأما المدرسة الكوفية فتعده اسماً, ومحله الجر, وتبدو ياء النسبة دالةً على علاقةٍ بين طرفين هما: المنسوب والمنسوب إليه, وتفتقد الدلالة بفقدها.

وقد ورد التخفيف في القراءات, فقرأ الأعمش, وابن أبي عبلة قوله تعالى:

"واستوت على الجوديّ" بسكون الياء مخففة, قال ابن عطية: هما لغتان, وهو تخفيف باب الشعر لشذوذه, وقد ورد تخفيف ياء النسبة في شعر الكميت, وذلك في قوله:

كانت سمرقند أحقاباً يمانيةً فاليوم تنسبها قيسيةً مضرُ.

طيب الأصل طيب العود في البَنَـ ية والفرع يثربي تهامي

فخفف ياء النسبة في يمانيّة وفي تِهامي والأصل التشديد, وجاء في "المزهر"

"كل نسبٍ فهو مشدد إلا في ثلاثة مواضع, يمان, وشآم, وتهام, وزاد في الصحاح: نباط, يقال رجل نباطي مثل يماني" [٩]

[٨] - شرح التسهيل لابن مالك – ج١ – ص٢٠١٥ – تحقيق محمد كامل بركات – دار الكاتب العربي للطباعة والنشر – بيروت – ١٩٦٧.

٣-الحذف في جمع التكسير:

وفيه يعوض عن الياءين بالتاء, فقالوا في جمع "أشعري, بغدادي, عبقري, شرقي, مغربي, أشاعرة, عباقرة, بغاددة, مشارقة, مغاربة". والتاء هنا تعوض عن ياء النسب التي تحذف معها حذفاً لازماً, لأن ياء النسبة والجمع لا يجتمعان, فتحذف الياء ويعوض عنها بالتاء كـ "زنديق- زنادقة".

٤-في جمع المذكر السالم:

سمع من الفصحاء -كما يروي الرواة- حذف ياء النسب, إذ جمع الاسم جمع السلامة, بالواو والنون, ولكن ليس حذفاً لازماً, فقالوا : "الأشعرون, الأعجمون, والمهلبون, النميرون, والأصل: أشعريون, أعجميون, مهلبيون, نميريون" وجاء في شعر الكميت قوله:

وما ضربت هجان من نزارٍ فوالج من فحول الأعجمينا

فلو جهزت قافية شروداً لقد دخلت بيوت الأشعرينا

فحذف الكميت ياء النسب المشددة في "الأعجمين والأشعرين".

٥- القصر في أسماء الإشارة:

اتفق النحاة على جواز قصر الاسم الممدود, وذلك لما فيه من رد الاسم إلى أصله. وذلك بحذف الزائد منه, وهو مستحسن في الشعر عند اضطرار الشاعر لحذفه, كقولهم: "لابد من صنعا ولو طال السفر" والأصل صنعاء.

وفي شعر الكميت: لم يُعثر على قصر للممدود في الأسماء المعربة, بل قصر في الأسماء المبنية, في أسماء الإشارة ثلاث مرات, وفي الأسماء الموصولة مرة واحدة, كما في قوله:

وكانت من اللا لا يُعيرَّها ابنُها إذا ما الغلام الأحمق الأم عيَّرا

فقصر "اللا" وأما أسماء الإشارة ففي قوله:

كنت لهم من هؤلاء وهؤلا مجنّاً على أنـي أُذمُّ وأقصبُ

أولاكَ لا هؤلا إذا انتُحِضَ الذ ديُّ وشُدَّ السِنَافُ واللببُ

فقصر هؤلاء مرتين, وأؤلئك مرة.

[٩] - المزهر في علوم اللغة للسيوطي ج 2- 198تحقيق محمد أحمد جاد المولى, وعلي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل ابراهيم- دار إحياء الكتب العربية- عيسى البابي الحلبي- القاهرة.

منع المصروف من الصرف "التنوين":

التنوين نون ساكنة زائدة تلحق آخر الاسم لفظاً لا كتابة, وزوال التنوين في أكثر من ما لا ينصرف, إنما هو لاستغناء الاسم عنه, إذ هو علامة الانفصال عن الإضافة, وفي هذا كان النحاة متفقين أن ظاهرة منع الاسم المصروف من الصرف غير حديثة, أو ليست من صنعة أهل اللغة, وإنما هي قديمة متأصلة في الشعر القديم, فالبصريون يمنعون ترك صرف ما لا ينصرف, لأن الأصل في الأسماء الصرف, فلو جوّزنا ترك حرف ما ينصرف لأدى ذلك إلى رده عن الأصل إلى غير أصل, ولكان أيضاً يؤدي إلى أن يلتبس ما ينصرف بما لا ينصرف[١٠] أما الكوفيون فقد أجمعوا على أنه يجوز ترك ما ينصرف في ضرورة الشعر, وهذا ما ذهب إليه أبو الحسن **الأخفش** وأبو علي **الفارسي** من البصريين, واحتج الكوفيون لقولهم من وجهتي: السماع والقياس من ذلك قول الأخطل:

طلب الأرازق بالكتائب إذهوتْ بشبيب غائلة الثغور غدور

فترك صرف شبيب, وهو منصرف, وفي قول حسان بن ثابت:

نصروا نبيَّهمُ وشدوا أزره بحنينَ يوم تواكل الأبطال

ترك صرف "حنين" وهو منصرف, وفي قوله تعالى سورة التوبة "ويوم حُنين إذ أعجبتكم كثرتكم" ولم يرد عن أيّ من القراء أنه لم يصرفه.

أما في شعر الكميت فقد وردت هذه الظاهرة مرتين في كلمتين هما: أبي "حباحب" "وحاميم", فالأولى في قوله:

يرى الراؤون بالشفرات منها وقود أبي حباحبَ والظبينا

فلا شك بعلمية "حباحب" ووجه منعها من الصرف اعتدادهم منها بعلة واحدة من العلل المانعة للصرف, وهي العلمية, تشبيهاً لها بالعلة التي تمنع الصرف وحدها. والكلمة الثانية في قول الكميت:

وجدنا لكم في آل "حاميم" آيةً تأولها منا تقي ومعربُ

فوجه منعها من الصرف هو شبهها بما لا ينصرف للعلمية والعجمة, يقول سيبويه" "ومما يدل على أن حاميم ليس من كلام العرب أن العرب لا تدري ما معنى حاميم"[١١]

[١٠] - الإنصاف في مسائل الخلاف- 2- 514ابن الأنباري تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد – دار الجيل- بيروت- ١٩٩٥.

[١١] - الكتاب ج 3- 259 – مصدر سابق.

التغير في البنية:

لغة الشعر – في مواقع عديدة– تفرض على الشاعر تغييراً في بنية الكلمة, وذلك استجابة للأغراض الفنية, وخاصة "العروض", وتبدو هذه الظاهرة قائمة في شعر الكميت, في عديد من القضايا أهمها:

الهمزة في بنية الكلمة:

من المتفق عليه بين النحاة "أن الهمزة صوت شديد", وأعلم أن الهمزة حرف شديد مستقل يخرج من أقصى الحلق... وهي حرف حلق, لأنه أدخل الحروف إلى الحلق, وكلما سفل الحرف خفي جرسه[١٢] وتبدو الهمزة المتمثلة في:

أ– التحقيق:

كغيرها من الحروف, وهنا يبدو النطق عملية صوتية شاقة, في صوت ليس بالمهموس, وليس بالمجهور, وأكثر الأصوات الساكنة شدةً, مخرجها فتحة المزمار التي تنطبق عند النطق بها ثم تنفتح فجأة.[١٣]

ب– التخفيف:

وهذا لا يحصل إذا سبقت الهمزة بشيء, أي لا تخفف إذا وقعت أولاً, أيّاً كانت حركتها, نحو أم, أخ, إياد, لأن العرب لا تبتدئ بالساكن, ويظهر التخفيف في ثلاثة أوجه: **الإبدال**, كأن تزيل نبرتها فتلين, وحينها تصير إلى الألف والواو والياء على حسب حركتها وحركة ما قبلها, وأما **الحذف** فهو أن نسقطها من اللفظ, وأما جَعْلها "بينَ بين" أي تُجعل بين الهمزة والحرف الذي منه حركتها, فإن كانت مفتوحة تجعلها بين الهمزة والألف...وهكذا..

وفي شعر الكميت وردت في أربعة مواضع ... ففي قوله:

فقد طال هذا النوم واستخرج الكرى مساويهم لو أنّ ذا الميل يعدلُ

يريد "مساوئهم" خففت الهمزة بإبدالها ياءً, ووردت في قوله:

كأنّى على حبِّ البويب وأهله أرى بالجباتين العذيب وقادسا

أراد "الجبأتان" وهو ماء معروف, ووردت في قوله:

[١٢] - شرح المفصل في علم العربية – دار الجيل- بيروت – ط 2– ابن يعيش-ج 9- 73- 107

[١٣] - اللهجات العربية في القراءات القرآنية 107- د. عبده الراجحي- دار المعرفة الجامعية- 1996

فتلك غيابة النغمات أمست ترهيا بالعقاب لمجرمينا

يريد "ترهيأ" أي تتهيأ لكي تصيبكم بعقاب, ووردت في قوله:

ولا أرمي البريَّ بغير ذنبٍ ولا أقفو الحواصنَ إن قفينا.

يريد "البريء" فقلب الهمزة ياء, وأدغم الياء قبلها فيها.

إظهار التضعيف "رده إلى الأصل":

التضعيف زيادة حركة, وهي حركة – في الأصل– مقدرة, ولا يجوز التضعيف في غير الشعر, فتقول فك– فكك, وفاكك, وردّ ردد, رادد, ومما اتفق عليه النحاة "إذا اجتمع حرفان متماثلان في كلمة واحدة, وكان أو الحرفين ساكناً, وجب إدغام الحرف الأول في الثاني, وما جاء خلاف ذلك في الشعر فقد عُدَّ من الضرورة كقول أبي النجم العجلي:

الحمد لله العليِّ الأجلل الواهب الفضل الكريم المجزِل

والقياس "الأجلّ".

ويعد فك المضعف لغةً خاصة بأهل الحجاز, ويرى سيبويه[١٤]: "إذا كان حرف من حروف المضعف في موضع تُسكن فيه لام الفعل, فإن أهل الحجاز يضاعفون, وعلى هذا قرأ **نافعٌ** قوله تعالى من سورة المائدة54" يا أيها الذين أمنوا من يرتدّ منكم عن دينه فسوف يأتي بقومٍ يحبهم ويحبونه".

وقد ورد في شعر الكميت مرتين:

لا ينقص الله حسادي فإنهم أَسَرُّ عندي من اللائي لها الودَدُ

إليكم ذوي آل النَّبيّ تطلعت نوازع من قلبي ظماء وألببُ

ففي الأول أظهر التضعيف حفاظاً على الوزن, "الودد" وفي الثاني جمع "لب" على "ألبُبُ" بضم الباءين, واللب هو العقل, وهذا شاذ والقياس لُبٍّ بغير فك التضعيف.

القلب المكاني:

"القلب تغيّرٌ يطرأ على بنية الكلمة بتغيير مواقع أصولها, عن طريق تقديم أو تأخير أحد حروف اللفظ الواحد مع حفظ معناه, وهي ظاهرة مألوفة في العربية"[١٥]

[١٤] - الكتاب- مصدر سابق- ج3- ص 530

[١٥] - الواضح في النحو والصرف- د. محمد خير حلواني – قسم الصرف- منشورات دار الثقافة العربية 1987- ص٤٧

وفي شعر الكميت **رصدنا** الظاهرة هذه مرتين: الأولى في قوله:[١٦]

إذا اعصوصبت في أينق فكأنها بزجرة أخرى في سواهن تضربُ

"أينق" جمع نوق على غير قياس, ويرى ابن جني "ذهب سيبويه في قولهم "أينق" مذهبين: أن تكون عين أينق **قلبت** إلى ما قبل الفاء, فصارت في التقدير "أونق" ثم أبدلت الواو ياءً, لأنها كما أعلت بالقلب أُعلت بالإبدال " والآخر أن تكون العين حذفت, ثم عوضت الياء فيها قبل الفاء كـ"أيفل– فعلى القول الأول "أعفل" وأنيق جمع ناقه وأصلحها نوقه فعلت بالتحريك, قلبت الواو ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها[١٧]

ووردت ثانية عند **الكميت** في قوله: من ديوانه ج 4– ص199

لج بتفضيلك اللسان ولو أكثر فيك الضجاج واللَّجَبُ

يرى النحاة أن اللجب **مقلوب** من الجلبة, واللجب هو ارتفاع الأصوات واختلاطها, وفي الحديث النبوي "إنه كثر عنده اللجب" وفي هذا يقول **ابن منظور** "وكأنه مقلوب من الجلبة" [١٨], وقياساً على ما قاله ابن جني فليس جلب ولجب, واحدهماً مقلوباً عن صاحبه, لأن كلاً منهما أصل مستقل بذاته, وبهذا يكون استخدام الكميت لهما من قبيل اختلاف اللهجات.

تغيير بنية العلم:

الشعر يخلق نوعاً من الاستعمال يفرض تغييراً في بنية العلم, انطلاقاً من وضوح المعنى وأمن اللبس فيه

وفي شعر الكميت غيرّ بنية العلم الأعجمي في قوله:

ونحن على شُراحبيل بن عمرو شهرنا البيض غير محلينا

يريد "شرحبيل بن عمرو, فلما لم يطرد الوزن, غير الشاعر في بنية العلم, احتياجاً للوزن, لذا كان التغيير هنا مطلباً عَروضياً.

وفي شعر الكميت أيضاً, قوله:

كانت سمرقند أحقاباً يمانيةً فاليوم تنسبها قيسيةً مضرُ.

يريد "قيساً" ولما لم يطرد الوزن أضاف إلى الاسم "الياء" المشددة والتاء.

تغيير البناء النحوي

---

[١٦]- شرح هاشميات الكميا- ص 90 لأبي رياش القيسي, تحقيق نوري حمودي القيسي وداؤود سلوم- مكتبة النهضة العربية.

[١٧] الخصائص- مصدر سابق ج1- 468 + شرح الهاشميات- المصدر السابق.

[١٨] لسان العرب ج 12 - 237

إنابة حروف الجر عن بعضها:

من ميزات الأساليب في العربية تعدد أوجه "الصرف" في توظيف الأدوات, وهذا التصرف إنما هو دال على قدرات الشاعر الإجرائية, وعلى مرونة اللغة في الوقت ذاته.

أما مسألة إنابة حروف الجر عن بعضها, فللنحاة فيها مذهبان: الأول التزمه الكوفيون وهو إجازة الإنابة, [١٩] والثاني ارتآه البصريون, إذ يرون أن أحرف الجر لا ينوب بعضها عن بعض بقياس, وعلى هذا أحرف الجزم وأحرف النصب, وما سُمع من ذلك فهو عندهم إما مؤول تأويلاً بقبله اللفظ, كما في قوله تعالى في سورة طه 71 " ولأصلبنكم في جذوع النخل" و"في" ليست بمعنى على "ولكن شبه **المصلوب** لتمكنه من الجذع بالحال في الشيء".

وفي شعر الكميت مجال واسع للتصرف كشاعر في أساليب اللغة, وتوظيفه لأدواتها, ومما هو مستنتج من شعر الكميت إكثاره من توظيف حروف الجر, وهذا يدل على قدرات شعرية ولغوية... ومنها استعمال "إلى" بمعنى "مع" في قوله:

خفضت لهم منّي جناحي مودةٍ إلى كنف عطفاه: أهل ومرحبُ

ويقصد "مع" كنف, وكذلك في قوله:

وحزم وجود في عفافٍ ونائل إلى منصب ما مثله كان منصبُ

ويقصد "مع" منصب, وفي الذكر الحكيم قوله تعالى – سورة المائدة 6 "فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق.." أي مع المرافق

استعمال "حتى" بمعنى "على" وذلك في قوله:

ولكنني في علةٍ من رضاهمُ مُقامي حتى الأن بالنفس أبخَلُ

ويقصد بـ "حتى" "إلى" الآن

استعمال "عن" بمعنى "على" كما في قوله:

و لكنّ صبراً عن أخٍ لك ضائرٌ عزاء، إذا ما النفس حنّ طروبها

ويقصد "على" أخ, فمن معاني "عن" الاستعلاء نحو قوله تعالى: "فإنما يبخل عن نفسه: أي على نفسه.

استعمال "الباء" بمعنى "من" وذلك بقوله:

ولا عبر الأيام يعرفُ بعضها ببعضٍ من الأقوام إلّا لبيبها

[١٩] - الضرائر وما يسوغ للشاعر دون الناثر- للألوسي- المكتبة العربية- بغداد- ص 149

أي– من– بعض, والمعنى لا يعرف أحد من الأقوام عبر الأيام إلا اللبيب, وفي هذا الباب كان الكميت مجلياً, ونعني في توظيفه لحروف الجر, فأسكت النحاة عن التعليق – بل اضطروا لامتداحه.

تضمين الأفعال:

التضمين هو أن يؤدي فعل أو ما في معناه مؤدى فعل آخر, فيعطى حكمه في التعدية واللزوم [٢٠]

وفي شعر الكميت.. صورتان للتضمين: الأولى تضمين فعل لازم معنى فعل "متعد" كما في قوله:

صبرنا فيه أنفسنا ببيض يغلّقْنَ الرؤس ويختلينا

فقد عدّى الفعل "صبر" وهو لازم بنفسه, لأنه ضمنه معنى الفعل "ألزم", أما الصورة الثانية فهي تضمين فعل "متعد" إلى مفعول واحد معنى فعل متعدٍ إلى مفعولين, كما في قول الكميت:

كانت سمرقند أحقاباً يمانيةً فاليوم تنسبها قيسيةً مضرُ

على الجُردِ العناقِ مُسوَّماتُ نشبهها ضِراءَ مُكلِّبينا

فالفعلان "نسب" و "شبه" يتعديان إلى مفعول واحد بنفسهما, وإلى مفعول ثان بحرف جر, غير أن الكميت ضمنهما معنى فعلين آخرين متعديين إلى مفعوليين, فالفعل " تنسب" ضمن معنى الفعل "تجعل", الفعل "تشبه" ضم معنى الفعل "نرى".

والذكر الحكيم, سورة طه 21 " ستعيدها سيرتها الأولى" أي إلى سيرتها في هذا الباب لم يخرج الكميت في استعماله عما تواضع عليه النحاة.

أهم ما يمكن استنتاجه من العمل:

– على الرغم من عثرات الكميت– على تقدير النحاة– فإنه شاعر يُحتج بشعره, وهو من شعراء عصره الذين صوروا معظم جوانبه السياسية والثقافية.

– إن أقيسه النحاة واستقراءاتهم ليست مطلقة, وكأنها لا يأتيها الباطل أو الخلل من أي من جوانبها, فهم – على أهميتهم– بشر يجتهدون, فيصيبون, ويخطئون, وإن استقراءاتهم– على جلال فعلها– لم تكن شاملة لكل ما تكلّمته العرب.

[٢٠] - راجع النحو الوافي- عباس حسن – ج 2 – 169 دار المعارف- مصر- ط 9 – ١٩٦٦.

– إن نظام الجملة العربية ليس محنطاً, كما توهم النحاة, فهو نظام مرن, ولاسيما في استجابته لدواعي الشعراء, فالشاعر يتصرف– من خلال امتلاكه لأبنية اللغة – تصرفاً ينتظم بين انفتاح الشعر, وبين انضباط القواعد النحوية, فيقدم ويؤخر في عناصر الجملة.

– الشاعر الكميت بن زيد مارس "الحرية" بنوعيها: السياسية واللغوية, ففي الأولى كان معارضاً للدولة الأموية على أسس حوارية– كما رآها هو – ومن هنا اتسعت شعريته على حساب بعض الجوانب النحوية, وفي الثانية كانت حريته التي نزعم – إلى حد بالغ– تحقق أمن اللبس من دون إساءة إلى المعنى.

– ينتمي الكميت إلى طبقة الإسلاميين الذين عاشوا في صدر الإسلام, كجرير والفرزدق, وهي الطبقة الثالثة بعد الجاهليين والمخضرمين, والصحيح– كما يقول البغدادي في الخزانة – "يصح الاستشهاد بكلامها", وهذا ما يخول الكميت الانتظام في أبنية النحو المستقرأة, وفي تجاوز بعض منها عند الضرورة.

– امتثال الكميت في ظواهر الحذف والزيادة والترتيب والإبدال لقانون أمن اللبس ووضوح المعنى.

– في الصرف, تأثر الكميت بلغة تميم وبكر بن وائل في إسكان المتحرك, وفي استعماله اسم الإشارة "أولا " مقصوداً بدلاً من أولاء.

– توسع الكميت في الاشتقاق من الأسماء الجامدة, ويعد هذا من وسائل إثراء اللغة.

مصادر نحوية ولغوية عامة

١- ثلاثة كتب في الأضداد – الأصمعي, السجتاني – ابن السكيت – دار المشرق بيروت ١٩٨٦.

٢- جامع الدروس العربية- مصطفى الفلاييني – مراجعة عبد المنعم خفاصة – المكتبة العصرية- بيروت -١٩٩٩

٣- السيميائيات الواصفة – أحمد يوسف – المركز الثقافي العربي – الدار البيضاء – المغرب – ٢٠٠٥٤-

٤- شرح قطر الندى وبل الصدى – تصنيف ابن هشام الأنصاري وتحقيق محمد محي الدين عبد الحميد – المكتبة العصرية – بيروت ١٩٧٧٥

٥- الصاحبي – أحمد بن فارس – تحقيق السيد أحمد صقر – القاهرة مطبعة عيسى البابي الحلبي ١٩٧٧٦

٦- فروق اللغات في التمييز بين مفاد الكلمات – نور الدين الجزائري – شرح د. محمد رضوان الداية – ١٩٨٩

٧- في أصول النحو – سعيد الأفغاني – مطبعة الجامعة السورية – ١٩٥١.

٨- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل- تحقيق عادل عبد الموجود – على محمد معوض مكتبة العبيكان – الرياض ١٩٩٨

٩- اللغة العربية معناها وبناها – د.تمام حسان- الهيئة المصرية للكتاب – القاهرة – ١٩٧٩

١٠- اللغة والتأويل – عمارة ناصر – الدار العربية للعلوم – ناشرون – بيروت ٢٠٠٧

١١- ما يحتمل الشعر من الضرورة- لأبي سعيد السيرافي- تحقيق عوض محمد حمد القوذي – ط١- الرياض – ١٩٨٩.

١٢- المختار من أبواب النحو – د. محمد خير حلواني – مكتبة دار المشرق – بيروت ط١ ١٩٣٥.

١٣- معجم الفروق اللغوية – لأبي هلال العسكري – المكتبة العصرية – بيروت ١٩٨٥

Differences and Agreement We have chosen Al-Qamait Ben Zaid al-Asadi as the subject of a grammatical study and as an exemplar to the relationship between the poet and the rules borrowed by grammarians within the conditions of time and place.. He is a prolific poet, of broad culture and with individualistic outlook. Political opposition and linguistic transgression were enhanced in his poetry. Indeed this individualism seems to be a contributing factor for his differences with grammarians and his disagreement with their rules and applications. These differences were rather relative and have their own reasons stemming from the differences between the originals and the branches. Most of the differences or paradoxes that we have observed were due to poetic necessity. On the other hand, his paradoxes indicate that the induction process was incomplete, and the extrapolation was often deficient among the grammarians who set the rules. In fact we have noticed the following things in the poetry of Al-Qamait.